Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
VOL1 NO 45, MARCH. 2024

The Philosophy of Social Life in the 'Ayniyah' of Abu Dhu'aib al-Hudhali

Assistant Professor Dr. Ammar Hazem Mohammed Ali
Zakho University / College of Basic Education - Department of Arabic Language"

ammar.mohammad@uoz.edu.krd
https://orcid.org/0000-0002-0696-5714
https://doi.org/10.32792/tqartj.v1i45.531

Received15 /12/2023, Accepted 2/1/2024 , Published 31/3/2024.

Abstract

"The manifestations of living and the philosophy of daily life, which are dispersed throughout the odes of Abu Dhu'aib al-Hudhali, represent a model that reflects the philosophy of social life and the general vision that can reveal the poet's philosophy in dealing with all the details of the material and spiritual life of the pre-Islamic era. This life was associated with everything that can be found in the description of death and life, and the relationship with both the silent and active nature, as well as the geography that forms a space carrying all the cultural connotations presented by it as an icon that can emulate what the pre-Islamic poet feels and his vision of the Bedouin world and its values."

Keywords: Social life, Values, Life, Death, Nature.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
VOL1 NO 45, March. 2024

فلسفة الحياة الاجتماعية في عينية أبي ذؤيب الهذلي

أ.م.د عمار حازم محمد علي
جامعة زاخو / كلية التربية الأساس – قسم اللغة العربية

ملخص:

تنوعت مظاهر العيش وفلسفة الحياة اليومية المبثوثة في ثنايا عينية أبي ذؤيب الهذلي التي تمثل هذه القصيدة أنموذجا يعكس فلسفة الحياة الاجتماعية والرؤيا العامة التي يمكن أن تكشف فلسفة الشاعرة في التعامل مع كل تفاصل الحياة الجاهلية المادية والمعنوية والتي ارتبطت بكل ما يمكن أن نجده في وصف الموت والحياة والعلاقة مع الطبيعية الصامتة والمتحركة والجغرافية التي تشكل فضاء يحمل كل دلالات ثقافية قدمتها بوصفها أيقونة يمكن أن تحاكي ما يشعر به الشاعر الجاهلي ورؤيته للعالم البدوي وقيمه .

الكلمات المفتاحية: الحياة الاجتماعية ، القيم ، الحياة ، الموت ، الطبيعة .

مقدمة:

مثّل الخوف من الموت وطبيعته دائرة اختصاص الدين ، والدين ينكر عادة الطابع المتناهي للموت مؤكدا استمرارية الشخصية الإنسانية في شمولها النفسي، والبدني، والروحي، وتحررها من البدن أو الجسد، ولكن هذا الموقف من الموت قد تغير تصوره عند بدء الفلسفة التي لم تشرع في الاهتمام به إلا حينما أصبحت الأفكار التي يطرحها الدين مشكوكا فيها وموضع ريبة[١]، ولاسيما حينما بدأت هذه الأفكار في تناقض لا مفرَّ منها مع شهادة حواسنا المباشرة التي لا جدال فيها،" إذ سعت الفلسفة في دعم الفكر الديني عن الموت بالحجج العقلانية التي وصلت إلى نتائج انطولوجية تبلورت في التصالح مع الموت، منظور إليه بعده عدما نهائيا أو بحسبانه خلودا غير شخصي ومشخصن"[٢] .

وما يمكن أن نقدمه بوصفه مشروعا لقراءة نقدية للشعر، قائما على فكرة (ما بعد الإنسان) وتجليه في النص الشعري، يفرض على الباحث البحث عن المجردات والمفاهيم الإجرائية في جانبها الوسائطي التقني أو الأثيري

---

١ . ينظر ما بعديات النص واللانص استراتيجية الكتابة ولعبة الثقافة ، محمود خليف الحياني : ١٢١ .

٢ . ينظر الموت في الفكر الغربي ، جاك شورن : ٢٧٩ . . . ٢٨٠ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

والفلسفي، التي كان حضورها في النصوص الشعرية لما بعد الإنسان تتجسد في حالة العدمية ، والتعديم، والسلب السارتري ، وجدلية الكينونة واللاكينونة التي يمكن كشفها بوصفها عدما من خلال هاجس السلب والتعديم وانعكاسه في مرآة النص الشعري، وكشف الوعي الوجودي ككائن يطرح وجوده وماهيته المحاصرة بالعدم، والإمكانات المستمرة للاموجود التي تظهر بوصفها غيابا، وقلقا، وغيرية، ونفورا، وندما، وتسلية، وكذبا أو خداع النفس، إذ تتساوق مع العالم ، والأرض أو الحجب واللاحجب الهدغيري، وانكشاف العالم من خلال النص أو اللغة وحضور الإنسان بوصفه وسيطا وراعي اللغة والنص الذي ينير ويكشف العالم من خلاله[٣]، وبذلك تشكل جدلية الوجود أو الكينونة، والعدم بؤرة تكتمل بها كينونة أنا الشاعر التي تدمر وتقصي وتذوب ذاتها لكي تكشف وتظهر عدميتها وسلبيتها حسب سارتر

و لاشك أن الشعر العربي يمثل ديوان العرب الذي احتوى على كل تفاصيل الحياة البدوية وقيمها والرؤيا الفلسفية التي انطلق منها إذ تحيلنا عينية أبي ذؤيب الهذلي للكشف عن كل دلالات اجتماعية تفرعت أقسامها، ثقافية، سياسية، أخلاقية، وغيرها من المعاني الجلية الماهرة ختمها بمعجمها اللغوي الواسم لهذه العادات والتقاليد والأعراف، في المجتمع العربي إبان تلك الحقبة من الزمن .

فقد كانت فلسفة الإنسان الجاهلية بسيطة وغير معقدة تتبلور في وصف السفر والترحال ورسم ما يمكن أن تشاهده العين والرؤية البصرية فالنقل والسفرات ومواد الزينة والحلي وأشياء أخرى رسمت الحياة الاجتماعية للمجتمع العربي في فترة ما قبل الإسلام .

وإن المقارب للنص الشعري في عينية أبي ذؤيب الهذلي ،"يكتشف أن القصيدة العربية عالجت تلك النصوص بطريقة منهجية على وفق لما تتطلبه المعالجة المعنوية، إنها دلالة ألفاظ على معان ، فالاستعمال الذي يقتضي من اللفظ – الإناء– أن يكون إناءً مستعملا في احتوائه المعنى ذاته أي في الدلالة على المعنى الذي وضع له في الأصل". (٤)

---

٣ . ينظر الكينونة والعدم : ٣٥ . . ٩٧ ، ومن فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، ١١٠ ، ونداء الحقيقة ،٢٣٠ . ٢٣٨ .، و في الفلسفة والشعر، هيدغر ، ترجمة عثمان أمين : ٧٥ . ١٠٨ ، والهرمينوطيقا والفلسفة ، ٢٢٧ . ٢٤٤، وطرق هيدغر: ٢٣٠ . ٢٣٨ .

٤ – الزوزني، شرح المعلقات السبع، مصدر سابق، ص١٣٦

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

فقد استعانت الدراسة الاجتماعية بوصفها مصطلحاً دلالياً في مجال الأدب ذاك ما تسرب في رسومه الكتابية ومعالجته العملية،" وتفسيراته لذلك الأثر الأدبي، وغني عن البيان أن الأدب يصور حياة الناس وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه ومن هنا كان الأدب مصدراً من مصادر التاريخ الإنساني فكل أدب في أي أمة من الأمم إنما هو يصوّر نوعاً من أنواع حياتها ولوناً من ألوان شعورها وذوقها وتفكيرها وانعكاس صور الحياة في نفوسها "(٥)

وإن المتلقي تتمظهر له من خلال السياقات الأدبية، التي جمعت هذه العبارة جوانب الدراسة الدلالية في حقل الأدب، فإذا أخذت العبارة: " إن الأدب يصور حياة الناس" فإنك تقرأ فيها معاني تعلقت بالحياة الاجتماعية، وما تحمله من تداعيات للوجود الإنساني، أما جملة "إن الأدب مصدر من مصادر التاريخ" فليس فيها من أولوية لشيء آخر قبل أولوية العامل التاريخي وصياغته للعمل الأدبي، وأما عبارة انعكاس صور الحياة في نفوسها فلا أخال هذه الكلمة إلا تعبيرا عن الحياة النفسية للمبدع وقرائه في وسط الأدب المدروس من خلال المنهج النفسي لشكل جلي لا مكان فيه للتأويلات النظيرة،" ولا يقبل سوى التفسير النفسي للأدب. لا يكون ذلك إلا من خلال عكس الفن لحقائق الطبيعة والمجتمع أيْ: لا يكون من دون البعد المعرفي، والاجتماعي في الفن"[٦] خصصت النظرة الاجتماعية في هذه الكلمة عن باقي المعاني الأخرى، ولئن كان طه حسين جمع في مقولته صنوف الدلالات وشتى أنواعها كما بيّنا سابقاً فإن غيرَه غلّب الجانب الاجتماعي على الدراسات الأخرى.

بيّن كيف وُلِد هذا العملُ وما علاقته بالأنظمة الأخرى، "وما الأشياء التي يرمز إليها والأَوْلَى نقد العمل الأدبي على أساس أنه جزء من النظام الاجتماعي"(٧) ، وهذا التوجه يَنِمُّ عن الوِجهة الاجتماعية في الدلالة الاجتماعية للعمل الأدبي اجتماعيا ويعده تحليلا معنويا بالمفهوم الدلالي الحديث.

وأريد الإشارة في هذا المبحث إلى البعد الاجتماعي وفلسفته وما تفرع عنه من مستويات ساهمت في تشكيله بتلك الصبغة الاجتماعية الفلسفية التي تعكس امثولة من صور الواقع البدوي والتي تمثلت في مستويات ثلاثة أخلاقية، ثقافية ، سياسية ، جمعت شتات الظاهرة الاجتماعية في النصوص الشعرية لشعر الهذلي في عمله.

٥- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف، مصر، ط٦، سنة ١٩٧٢: ٢٢ .

٦ - الزوزني، شرح المعلقات السبع، مصدر سابق، ص١٣٦

٧- يوسف غيوة، وسيلة حفظ الشعر الجاهلي في مرحلة إنشاده، مجلة الأدب، العدد ٣، جامعة قسنطينة، ١٩٩٦: ٤٤

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

والتي حاولت فلسفة الحياة اليومية اكتشافها واظهارها في النّص ، ،ولعل ما يمكن أن نجده في المدونات العربية القديمة في أن الاخلاق وانعكاس القيم الحياتية في الشّعر لها حضورا ، ولا سيما عندما كان الشّعر ديوان العرب وارشيف ذكرياتهم الذي يحتوي على كل امنياتهم وعاداتهم وامجادهم وتاريخهم([٨]) ، وهو ما جسدته هذه القصيدة في تحقيق تجربة الألفة مع العالم عن طريق ترميز الحياة وتقدمها بصورة مختزلة بوصفها فلسفة حياة وعملية اضافت معناً جديداً للتجارب الإنسانية ، وتشكل القصيدة من الأجناس الأدبية التي اعتنت بموضوعات الحكمة أو فلسفة الحياة ، والتي تم صياغتها على وفق اعادة انتاجها بصورة مكثفة وثاوية في عمق التّجربة الإنسانية.

المبحث الثاني

فلسفة الحياة الاجتماعية وقيمها البدوية

تعامل الشاعر الجاهلي على وفق رؤيا فلسفية ذات ارتباط بتجربة حياة بكل ما يرتبط به أو يحيطه فالقصيدة انطلقت من مناسبة تراجيدية إذ اتفقت معظم المصادر بأن موضوعها يرتبط بمرثية ووصف للحظة الموت وهي رثاء لا بناء الشاعر الخمسة أو السبعة في بعض الروايات والذي كان سبب وفاتهم بأنهم شربوا لبن مسموما، أو اصابهم الطاعون، وتذهب معظم الروايات في إنها كُتِبَت في العصر الجاهلي [٩] ، فمناسبة القصيدة عتبة تعمل على تصور العلاقة المضطربة ما بين الشاعر والحياة فافتتاح القصيدة بمقدمة استفهامية ذات بعدا فلسفيا وانطولوجيا في قوله :

"أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ ؟

وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ"[١٠]

يقدّم هذا البيت الشعري سؤال استفهام انكاري يشتغل على ما يمكن أن يسببه الموت أو المنون من جزع وحزن ولكن البعد الفلسفي لهذه العلاقة المضطربة ما بين المنون والدهر في أنه يشير إلى مسار زماني ومكاني في أن

---

[٨]– ينظر ميثولوجيا الشعر النبطي ، د. محمود خليف خضير الحياني : ٧٧ .

[٩] . ينظر البناء الفني في شعر الهذليين، إبراهيم، إياد : ٤٤ ، و في التذوق الجمالي لعينية أبي ذؤيب الهذلي، محمد علي أبو حمدة: ٥٣ .

[١٠] . ديوان الهذليين: ١ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الموت الذي أصاب أبنائه جاء عن طريق الموت المباغت ولم يكن بفعل معركة فالجزع الذي أصاب الشاعر في أن هناك طقوس خاصة تعمل على تكوين نوع من الحكاية أو الحدث الذي يضفي قيمة كبيرة للإنسانية فالإنسان الذي يُقتَل في المعركة أو الحرب يشير إلى الشجاعة والفروسية أما الذي يُقتَل بسبب السم فكأنه كان إنسانا ضعيفا استسلم لقدره ولم يعمل على صنع قدرة ففلسفة الحياة الجاهلية كانت تفرض على الإنسان الجاهلي أن يكون مقدام ولا يهاب الموت وهو ما تجسد في المعارك والحروب .

ولكي يقدّم الشاعر انطباعه وفلسفته للموت ويمهد لحدث الموت على شكل رحلة أو سفر في قوله :

" قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً

مُنذُ اِبتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

أَم ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضجَعاً

إِلّا أَقَضَّ عَلَيكَ ذاكَ المَضجَعُ

فَأَجَبتُها أَن ما لِجِسمِيَ أَنَّهُ

أَودى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعوا

أَودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني غُصَّةً

بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً لا تُقلِعُ

سَبَقوا هَوَيَّ وَأَعنَقوا لِهَواهُمُ

فَتُخُرِّموا وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصرَعُ

فَغَبَرتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناصِبٍ

وَإِخالُ أَنّي لاحِقٌ مُستَتبَعُ

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

فَإذا المَنِيَّةُ أَقبلَت لا تُدفَعُ

وَإذا المَنِيَّةُ أَنشبَت أَظفارَها

أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

فَالعَينُ بَعدَهُمُ كَأَنَّ حِداقَها

سُمِلَت بشَوكٍ فَهِيَ عورٌ تَدمَعُ

حَتّى كَأَنّي لِلحَوادِثِ مَروَةٌ

بِصَفا المُشَرَّقِ كُلَّ يَومٍ تُقرَعُ

لا بُدَّ مِن تَلَفٍ مُقيمٍ فَانتَظِر

أَ بِأَرضِ قَومِكَ أَم بِأُخرى المَصرَعُ

وَلَقَد أَرى أَنَّ البُكاءَ سَفاهَةٌ

وَلَسَوفَ يولَعُ بِالبُكا مَن يَفجَعُ

وَلَيَأتِيَنَّ عَلَيكَ يَومٌ مَرَّةً

يُبكى عَلَيكَ مُقَنَّعاً لا تَسمَعُ

وَتَجَلَّدي لِلشامِتينَ أُرِيهِمُ

أَنّي لَرَيبِ الدَهرِ لا أَتَضَعضَعُ

وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها

فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ

كَم مِن جَميعِ الشَملِ مُلتَئِمُ الهَوى

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

باتوا بِعَيشٍ ناعِمٍ فَتَصَدَّعوا

فَلَئِن بِهِم فَجَعَ الزَمانُ وَرَيبُهُ

إِنّي بِأَهلِ مَوَدَّتي لَمُفَجَّعُ "[١١]

ينطوي هذا المقطع الشعري على لحظة تجاوز تفلسف الحياة من حيث ما يمكن أن تتسبب به الموت من شعور بالفقد وعدم القدرة على مواصلة الحياة الطبيعية ، فالاستسلام والقهر والضعف له أسباب منطقية في كون تراجيدية أبي ذؤيب تمحورت حول صراعه مع الدهر أو الزمان الذي يخفي ويحجب بين ثناياه الموت المؤجل ، فلعبة الحضور والغياب التي شكلت استراتيجية تفكيكية مارست دورها بصورة مستمرة في تعليق الموت الذي كان حاضرا بوصفه أثرا في الحياة ، فالجدلية بين حضور الموت وتغيبه ، وما يمكن أن نجده من قدرة الشاعر في التعبير عن لحظة الاستلاب أو التعديم الذاتي كما ذهب سارتر[١٢] في الانتقاص من الذات ووصفها بأوصاف تبعدها عن ترف الحياة ، فالجسم الشاحب وعدم القدرة على النوم مع امتلك المال كلها صفات تشي بحالته النفسية التي يعاني منها الشاعر ، فالابتعاد عن النرجسية ، والتضخيم ، والتهويل الذي نجده في قصائد رثاء الميت من حيث تضخيم ، والمبالغة في الصفات المعنوية والمادية له ، فالشاعر ابتعد عن هذه الطريقة وبدأ يصف ما يعانيه من فقدان أبنائها ، فموتهم ليس بسبب ضعفه أو بخله ، إنما كان الشاعر يمتلك القوة والمال ، ولكن غفلة الزمان سرقهم منه ، فالبكاء والدمع المستمر وتشمت الأعداء لعب دورا في اثار عواطف المتلقي عاملا على تهيئة الأجواء لمشاهد تعبّر عن ما كانت عليه حياته في الماضي، وكأنه يلوم الإنسان وغفلته عن الموت ، فانشغال الإنسان ببهرجة الحياة عززت لديه غياب الموت المؤجل ؛ لذلك فالشاعر لا يلوم نفسه بموت أبناءه، إنما يلوم الموت أو المنون أو الدهر الذي تحين الفرصة في سرقت أبناءه منه، فارتكاز الشاعر على جملة (أَودى بَنِيَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعوا) تفشي بإبعاد تأويلية تدور حول معنى أن موت أبناءه كان بعيد عنه ، أي بأنهم كانوا يعيشون حياة الترف، والنعيم ، ولكنهم سافروا إلى حتفهم ، فهو وفر لهم كل مستلزمات ومع ذلك لم يستطع أن يعمل على حمايتهم من غدر الزمان في قوله :

---

[١١] . ديوان الهذليين ،: ٢ . . ٥ .

[١٢] . ينظر الكينونة والعدم، هيدغر : ٤٤٧ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

" وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ

في رَأسِ شاهِقَةٍ أَعَزُّ مُمَنَّعُ

وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ

جَونُ السَراةِ لَهُ جَدائِدُ أَربَعُ "[١٣]

يعود الشاعر في هذا البيت الشعري إلى حكمة فلسفية تصور الحياة بأنها لعبة وتغيير دائما وإن المتحكم به هو الزمان ، ففلسفة التغيير التي دعا لها ديمقريطس في أن الحياة أصلها التغيير[١٤] ، وهو أصل الكون الذي ينبع من أن التغيير هو القاهر لكل مظاهر الحياة ، والمتمثل في الحكاية التي قدمها الشاعر التي تجسدت في حكاية الحمار الوحشي تفاعلت ما استراتيجية الحدث الذي عمل على تشويه حقيقة الحياة في البيئة الصحراوية ، فحياة الصحراء في الحقيقة قاسية ، وتنطوي على صراع مستمر مع في الحفاظ على الحياة ، ومتطلباتها، وبعبارة أخرى صراع دائم مع الموت ، فالشاعر قدم صورة أو محاكاة مغلوطة عن حياة الحمار الوحشي أو ما يمكن أن يؤثث مشهدا الحياة الترف والنعيم ، وإن هذا الحمار الوحشي مع ما يتمتع به من قوة ولكن الزمان أو الصياد كان لهم بالمرصاد كما قال الشاعر :

" صَخِبُ الشَوارِبِ لا يَزالُ كَأَنَّهُ

عَبدٌ لِآلِ أَبي رَبيعَةَ مُسبَعُ

أَكَلَ الجَميمَ وَطاوَعَتهُ سَمَحَجٌ

مِثلُ القَناةِ وَأَزعَلَتهُ الأَمرُعُ

بِقَرارِ قيعانٍ سَقاها وابِلٌ

واهٍ فَأَثجَمَ بُرهَةً لا يُقلِعُ

---

[١٣] . ديوان الهذليين ،: ٤ .

[١٤] . ينظر المطابقة والاختلاف ، عبدالله ابراهيم : ١٦١ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

فَلَبِثْنَ حيناً يَعتَلِجنَ بِرَوضَةٍ

فَيَجِدُّ حيناً في العِلاجِ وَيَشمَعُ "[١٥]

يأثث هذا المشهد لفضاء يشير إلى بنية الجسد المتحرك والذي يدل على القوة والسعادة والتمسك بالحياة وان تفاصيل هذه الحياة السعيدة يمكن أن يقابلها لحظة تتحول السعادة إلى حزن أو الحياة إلى موت فالتركيز من قبل الشاعر على الجانب الحركي للجسد هو في الحقيقة ضد السكون، والثبات وهي صفات الموت ، فالمشهد يعج بالحياة ، وكأنه تصويرا حيا لقهر الموت وتغيبه ، أو الغفلة عنه حتى بدأت ارهاصات الحياة بالتغير فجاءة في قوله :

" حَتّى إِذا جَزَرَت مِياهُ رُزونِهِ

وَبِأَيِّ حينِ مِلاوَةٍ تَتَقَطَّعُ"[١٦]

فلسفة الحياة يمكن أن تختزل في حركة الطبيعة أو البحر من الجزر والمد وهي عملية متناقضة تصور ما يمكن أن يؤثر في الإنسان فهي منطق انطولوجي عميق يكشف عن مسلمة حياة ذات ترتبط بوجود الماء فهو مركز الحياة بالنسب لهذا الثور الوحشي الذي وجد نفسه في غفلة من الزمان بأن الحياة لم تعد توفر له كل ما يطلبه فهي تتصف بالغدر ولذلك فإنه طالب الحمار الوحشي بأن لا يستسلم ويبحث عن الماء فارضا قوته وسلطته على الأتان أو الحمر الأخرى في قوله :

" ذَكَرَ الوُرودَ بِها وَشاقى أَمرَهُ

شُؤمٌ وَأَقبَلَ حينُهُ يَتَتَبَّعُ

فَافتَنَّهُنَّ مِن السَواءِ وَماؤُهُ

بِئرٌ وَعانَدَهُ طَريقٌ مَهيَعُ

فَكَأَنَّها بِالجِزعِ بَينَ يُنابِعٍ

---

[١٥] . ديوان الهذليين: ٤ . . ٥ .

[١٦] . المصدر نفسه : ٥ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
VOL1 NO 45, March. 2024

وَأولاتِ ذي العَرجاءِ نَهبٌ مُجمَعُ

وَكَأَنَّهُنَّ رَبابَةٌ وَكَأَنَّهُ

يَسَرٌ يُفيضُ عَلى القِداحِ وَيَصدَعُ

وَكَأَنَّما هُوَ مِدوَسٌ مُتَقَلِّبٌ

في الكَفِّ إِلّا أَنَّهُ هُوَ أَضلَعُ

فَوَرَدنَ وَالعَيّوقُ مَقعَدَ رابِئِ الضَ

ضُرَباءِ فَوقَ النَظمِ لا يَتَتَلَّعُ

فَشَرَعنَ في حَجَراتِ عَذبٍ بارِدٍ

حَصِبِ البِطاحِ تَغيبُ فيهِ الأَكرُعُ "[١٧]

يصف الشاعر في هذا المقطع الخطة الخفية التي بدأ بها الموت يضعها في الإيقان بهذا الحمار الوحشي فالطريق إلى ينبوع الماء مفتوحا مشيرا إلى أنه لا يمكن أن يستبطن هذا المكان الجميل والذي مفعم بالحياة بكل ما يمكن أن نجده بأنه يخبئ له من الموت فهي فلسفة يكشف الشاعر في أن الحياة السعيدة لم يمكن أن تغريك وأن الموت ثاويا في كل تفاصيل هذه الحياة فالمصيدة في أن تكون في الطعم الذي صور للحمار الوحشي بأن هذا المكان هو مكان ينطوي على نعيم ولكنه في الحقيقي هو الموت بحد ذاته فلا يغرنك جمال الشيء إنما الموت شيء متحقق ، فكأن الموت كان بالمرصاد محاولة الشاعر في هذه الأبيات التي تصف قوة وحيوية وسرعة ومرح وحركة الحيوانات لكي تبدأ طقوس الموت فوصف الشاعر الموت بأنه صياد له دلالاته كبيرة في قوله :

" فَشَرِبنَ ثُمَّ سَمِعنَ حِسّاً دونَهُ

[١٧] . ديوان الهذليين: ٥ . ٧٠ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

شَرَفُ الحِجابِ وَرَيبَ قَرعٍ يُقرَعُ

وَنَميمَةً مِن قانِصٍ مُتَلَبِّبٍ

في كَفِّهِ جَشءٌ أَجَشُّ وَأَقطَعُ

فَنَكِرنَهُ فَنَفَرنَ وَامتَرَسَت بِهِ

سَطعاءُ هادِيَةٌ وَهادٍ جُرشُعُ

فَرَمى فَأَنفَذَ مِن نَجودٍ عائِطٍ

سَهماً فَخَرَّ وَريشُهُ مُتَصَمِّعُ

فَبَدا لَهُ أَقرابُ هذا رائِغاً

عَجِلاً فَعَيَّثَ في الكِنانَةِ يُرجِعُ

فَرَمى فَأَلحَقَ صاعِدِيّاً مِطحَراً

بِالكَشحِ فَاشتَمَلَت عَلَيهِ الأَضلُعُ

فَأَبَدَّهُنَّ حُتوفَهُنَّ فَهارِبٌ

بِذَمائِهِ أَو بارِكٌ مُتَجَعجِعُ

يَعثُرنَ في حَدِّ الظُبات كَأَنَّما

كُسِيَت بُرودَ بَني يَزيدَ الأَذرُعُ"[١٨]

أن الوصف البصري لهذا الصياد الذي يشكل فعل ودلالة للتربص بفريسيته الغافلة مصورا الشاعر مشهد أو مكان جريمة القتل وكيف حاول هذا الحمار الوحشي الافلات من الموت وكأن الشاعر معاتبا الدهر الذي أخذ أبناءه في

[١٨] . . ديوان الهذليين: ٧ . . . ١٠ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

أنه أعطى فرصة للحمار الوحشي في أن يهرب منه وهناك مقدمات كثيرة كانت بمثابات دلالات أو إرهاصات تدل على أن هناك موت يحيط به وهو بذلك يقدّم صورة عن ظلم الطبيعة أو الحياة أو الزمان الذي لم ينصف أبنائه لكي تكون موتتهم بهذه الطريقة التي تدل على الاستسلام والخنوع فمع قوة هذا الحمار الوحشي فانه لم يستطع أن يدفع الموت عن اصاحبه أو قطيعه فالموت لا يمكن أن يهزم لأنه يأتي بصورة خفية ، فالشعور بالذنب لم يفارق الشاعر فهو لم يستطع أن يدفع الموت عن أبناءه ، متعللا بعجز الطبيعة الإنسانية عن قهر الموت ورهبته ، فضلا عن أن أبناءه ماتوا بشرب ماء أو حليب مسموم، فالتماثل والانسجام بين محاولة الحمار الوحشي شرب الماء ، وشرب أولاده فالحبكة أو نسيج الحكاية واحد :

" وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ

شَبَبٌ أَفَزَّتهُ الكِلابُ مُرَوَّعُ

شَعَفَ الكِلابُ الضارِياتُ فُؤادَهُ

فَإِذا يَرى الصُبحَ المُصَدَّقَ يَفزَعُ

وَيَعوذُ بِالأَرطى إِذا ما شَفَّهُ

قَطرٌ وَراحَتهُ بَلِيلٌ زَعزَعُ

يَرمي بِعَينَيهِ الغُيوبَ وَطَرفُهُ

مُغضٍ يُصَدِّقُ طَرفُهُ ما يَسمَعُ

فَغَدا يُشَرِّقُ مَتنَهُ فَبَدا لَهُ

أُولى سَوابِقِها قَريباً توزَعُ

فَاِهتاجَ مِن فَزَعٍ وَسَدَّ فُروجَهُ

غُبرٌ ضَوارٍ وافِيانِ وَأَجدَعُ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

يَنهَشنَهُ وَيَذُبُّهُنَّ وَيَحتَمي

عَبلُ الشَوى بِالطُرَّتَينِ مُوَلَّعُ

فَنَحا لَها بِمُذَلَّقَينِ كَأَنَّما

بِهِما مِنَ النَضحِ المُجَدَّحِ أَيدَعُ

فَكَأَنَّ سَفّودَينِ لَمّا يُقتَرا

عَجِلا لَهُ بِشَواءِ شَربٍ يُنزَعُ

فَصَرَعنَهُ تَحتَ الغُبارِ وَجَنبُهُ

مُتَتَرِّبٌ وَلِكُلِّ جَنبٍ مَصرَعُ

حَتّى إِذا اِرتَدَّت وَأَقصَدَ عُصبَةً

مِنها وَقامَ شَرِيدُها يَتَضَرَّعُ

فَبَدا لَهُ رَبُّ الكِلابِ بِكَفِّهِ

بيضٌ رِهافٌ رِيشُهُنَّ مُقَزَّعُ

فَرَمى لِيُنقِذَ فَرَّها فَهَوى لَهُ

سَهمٌ فَأَنفَذَ طُرَّتَيهِ المِنزَعُ

فَكَبا كَما يَكبو فَنِيقٌ تارِزٌ

بِالخُبتِ إِلّا أَنَّهُ هُوَ أَبرَعُ "[١٩]

---

[١٩] . ديوان الهذليين : ١٠ . . ١٣ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

أن المفارقة العجيبة في أن هذا المشهد وصف حال الثور الوحشي القوي ولقد اصبح وحيدا ولم يستطع أن يدافع عن قطيعه فكانت الغلبة للموت على حساب القوة ففلسفة هذه الحكاية في أن المنية أو الموت يتمتع بصفة القهر وأن وصف الشاعر لحركة الكلاب وما يمكن أن تشكله سبب أو داعم أساسي في لحظة الصراع ما بين الموت والحياة فهي لم تكن كلاب عادية إنما لها قدرة على خوض معارك ضارية وطاحنة والتي وجدت أن هذا الثور كان خصم عنيد جدا فقد مثل مشهد المعركة خير معبر عن شراسة دفاعه عن نفسه ، ولقد كان هذا الحمار يمتلك من أدوات القوة الجسدية تجسدت في امتلاك قرن قوي عمل على تمزيق لحم الكلاب وتبعثرها مقدما لنا صورة بلاغية تضفي انطباعا لدى المتلقي بقوة قرن هذا الحمار من حيث تشبيه انغراس القرن في لحم الكلاب وخروجها محملة بالدم وتقطره كأن سفود شوي اللحم يتقطر منه السمن ، فقساوة المشهد يعبر عن قساوة الموت والخوف من الفناء ، فاشتداد المعركة وصراع الحمار الوحشي ومحاولته في الحفاظ على حياته وخوفه من الفناء أعطاه قوة وارادة في أن يحسم المعركة لصالح ، فكان مصير الكلاب بين الموت، والهرب ، والتشريد وسماع اصوات الكلاب المستسلمة أو المضرعة(شَرِيدُها يَتَضَرَّعُ) التي تشير إلى الاستسلام ، والضعف ونهاية المعركة ، ونشوة الانتصار الزائف للحمار الوحشي التي فاجأته سهام الصياد المدفعة عن هروب الكلاب ، فهذه السهام تمتلك من الموصفات التي تعمل على تسريع عملية القتل ، فهي كانت مصقولة وخفيفة وسريعة ولها ريش يرمز إلى أنها ذات استعمال مستمر ، فوصف السهام بهذه الدقة ، وقوة الاختراق هي في الحقيقة وصفا لمهارة وحنكة ، وخبرة ، وممارسة الصيد التي يتمتع بها الصياد في كون محاولته الأول قد اصابت منطقة صلبة في جسم الحمار والتي أدت إلى سقوطه بقوة في الارض مطلقا صوت قوي أقوى من صوت سقوط الجمل الكبير والثقيل ، فسقوط الحمار الوحشي على الارض بقوة اشارة ذكية من الشاعر في أن للموت رهبته وقوة سقوط الحمار اعلان عن نهاية هذا الصراع الدامي ومحاولة التمسك بالحياة من قبل الحمار الوحشي ،فالشاعر في الحكاية الأولى كشف عن أنّ المال والحياة لا تمنع عنك الموت حتى لو كنت في غفلة الحياة وبهرجتها وفي الحكاية الثانية نتلمس معناً عميقاً في أن الانسان مهم يملك من القوة الجسدية والإرادة ، فإن غالبه الموت لا محالة ، وهو بالمرصاد لتكتمل كل اسباب ورموز القوة ، والمال، والنسب ، والمهارة، والخبرة في مواجهة الموت في الحكاية الثالثة في قوله :

" وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ

مُستَشعِرٌ حَلَقَ الحَدِيدِ مُقَنَّعُ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

حَمِيَت عَلَيهِ الدرعُ حَتّى وَجهُهُ

مِن حَرِّها يَومَ الكَرِيهَةِ أَسفَعُ

تَعدو بِهِ خَوصاءُ يَفصِمُ جَرِيُها

حَلَقَ الرِحالَةِ فَهِيَ رِخوٌ تَمزَعُ

قَصَرَ الصَبوحَ لَها فَشَرَّجَ لَحمَها

بِالنَيِّ فَهِيَ تَثوخُ فيها الإِصبَعُ

مُتَفَلِّقٌ أَنساؤُها عَن قانِيٍ

كَالقُرطِ صاوٍ غُبرُهُ لا يُرضَعُ

تَأبى بِدُرَّتِها إِذا ما اِستُكرِهَت

إِلّا الحَمِيمَ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ

بَينَنا تَعَنُّقِهِ الكُماةَ وَرَوغِهِ

يَوماً أُتيحَ لَهُ جَرِيءٌ سَلفَعُ

يَعدو بِهِ نَهِشُ المُشاشِ كَأَنَّهُ

صَدَعٌ سَلِيمٌ رَجعُهُ لا يَظلَعُ

فَتَنادَيا وَتَواقَفَت خَيلاهُما

وَكِلاهُما بَطَلُ اللِقاءِ مُخَدَّعُ

مُتَحامِيَينِ المَجدَ كُلٌّ واثِقٌ

بِبَلائِهِ وَاليَومُ يَومٌ أَشنَعُ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

وَعَلَيهِما مَسرودَتانِ قَضاهُما

داودٌ أَو صَنَعُ السَوابِغِ تُبَّعُ

وَكِلاهُما في كَفِّهِ يَزَنِيَّةٌ

فيها سِنانٌ كَالمَنارَةِ أَصلَعُ

وَكِلاهُما مُتَوَشِّحٌ ذا رَونَقٍ

عَضباً إِذا مَسَّ الضَريبَةَ يَقطَعُ

فَتَخالَسا نَفسَيهِما بِنَوافِذٍ

كَنَوافِذِ العُبُطِ الَّتي لا تُرقَعُ

وَكِلاهُما قَد عاشَ عيشَةَ ماجِدٍ

وَجَنى العَلاءَ لَو أَنَّ شَيئاً يَنفَعُ "[٢٠]

يشتغل هذا المقطع على واقع تقسيم الزمان إلى زمان كوني ونفسي وما يرتبط من دورات الحياة وإن الدهر له تجليات كثيرة يمكن أن تمثل قهر الزمان والموت والغياب فهذه الصورة المتنوعة التي تدل على الضعف وهشاشة الإنسان يمكن أن تجسد حالة من التعديم وعدم الاكتمال والشعور بالنقص ، فمهم ادعت النفس الإنسانية من قوة أو محاولته العمل على احضار كل مستلزمات القوة والتهيؤ المادي والمعنوي للحرب فان الصراع الدموي لابد أن ينتهي بالموت فالشاعر يقدّم مشهدا دراميا يصف به ويسخر من مباهج الحياة وترفها وأن قيمة القوة أو الشعور بالقوة ، والافتتان بالشجاعة ، والاقدام فكلها تخبئ داخلها موت وفناءا مؤجلا ، فالتهيؤ للمعركة من قبل الفارس الذي يرتدي أو يلبس درعه الحديدي الذي اصبح علامة أو جزء من حياتيه فكل شيء يتمسك به الفارس يشير بأنه خاض معارك كثيرة وفي المقابل نجد أن شخصية الفارس الآخر والتي تتمتع بكل مقومات الحماية يحدث بينهما تصادم وصراع في المعركة ينتهي بقتلهم وكان الشاعر في هذا المقطع أو نهاية القصيدة يكشف عن مقصديته

[٢٠] . ديوان الهذليين ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر: ١٣ . . ٢١ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الأساسية في أن يتمنى تكون نهاية أو موت أبناءه بالمعركة وليس عن طريق السم وهو ما يرفضه الشاعر منتقدا ناموس الطبيعة ودورتها ولحظة القتل والغدر التي تؤثر عليه .

خاتمة البحث :

خلاصة مما تقدم فإن البحث يتجسد فيه نوعا من فلسفة الحياة البدوية والرؤيا الانطولوجية في التعامل مع الطبيعية الصامتة والمتحركة وما يمكن أن تفرزه من صورة تراجيدية تكشف الضعف البشري وكيفية التغلب على الموت والتعامل معه على وفق ثنائيات زمانية ومكانية والموت والحياة ، فتجربة الشاعر مع حالة الفقد أو خسارة الأبناء تطعمت برؤيا كوني للأشياء تأثث لمشاهد يتجلى فيها نوع من الصراع للبقاء والتي يكون في اغلبها الموت أو الغدر أو التغيب فقد كشف عن مشاهد يكون فيها الصراع محسوم ولا يمكن أن ينتهي لصالح أحدهما ، فالفلسفة التي ينطلق منها تقدم مشاهد ولحظات تتوقف أمام الموت البطيء وعدم القدر على توقفه وكان الشاعر يحاول أن يعيد أو يكررا مشهد سريان الموت بالسم وما يمكن أن تشعر به الضحية من جراء تسريب الموت وتملكه للضحية ، فالتعامل السلبي مع الموت والتغيب الدائم له لا يمنع من أن يكون له حضور ولها طريقة خاصة في الظهور الخفي والمتحجب خلف بهرجة الحياة .

قائمة المصادر والمراجع:

١. البناء الفني في شعر الهذليين، إبراهيم، إياد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ٢٠٠٠.
٢. ديوان الهذليين ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، جمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦٥ .
٣. شرح المعلقات السبع الزوزني ، دار اليقظة، العربية للتأليف والنشر، بيروت (د،ط)، ١٩٦٩.
٤. طرق هيدغر، غادامير ، ترجمة حسن ناظم ، علي حاكم صالح ، الكتاب الجديد المتحد ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، بيروت .
٥. في التذوق الجمالي لعينية أبي ذؤيب الهذلي، محمد علي أبو حمدة،، دار الشروق ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٧ .
٦. في الفلسفة والشعر، هيدغر ، ترجمة عثمان أمين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٦٣ ، القاهرة .
٧. الكينونة والعدم ، جان بول سارتر ، ترجمة نقولا متيني ، مراجعة عبد العزيز العيادي ، المنظمة العربية للترجمة ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، بيروت .
٨. ما بعديات النص واللانص استراتيجية الكتابة ولعبة الثقافة ، محمود خليف الحياني ، دار حامد ، الاردن ، ط١ ، ٢٠١٤ .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

٩. مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد، ، دار المعارف، مصر، ط٦، سنة ١٩٧٢: ٢٢ .
١٠. المطابقة والاختلاف ، عبدالله ابراهيم ،، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤
١١. من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، ، عبد الكريم شرفي،منشورات الاختلاف ، ط ١ ،٢٠٠٧، الجزائر.
١٢. الموت في الفكر الغربي ، جاك شورن ، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ،ط ١،١٩٨٤،الكويت .
١٣. ميثولوجيا الشعر النبطي ، د. محمود خليف خضير الحياني ، وزارة الثقافة ، الشارقة ، ط١ ، ٢٠٢٣ .
١٤. نداء الحقيقة ، هيدغر، ترجمة عبد الغفار مكاوي ، دار الثقافة ، ط١، ١٩٧٧،القاهرة.
١٥. الهرمينوطيقا والفلسفة ، عبد الغني بارة، منشورات الاختلاف، ط١ ، ٢٠٠٨ ،الجزائر.
١٦. وسيلة حفظ الشعر الجاهلي في مرحلة إنشاده، يوسف غيوة، ، مجلة الأدب، العدد ٣، جامعة قسنطينة، ١٩٩٦: ٤٤

List of Sources and References:

1. The Artistic Structure in the Poetry of the Hudhaliyyin, by Iyad Ibrahim, General Directorate for Cultural Affairs, Baghdad, 2000.
2. Diwan of the Hudhaliyyin, National Publishing House for Printing and Publishing, United Arab Republic, 1965.
3. Explanation of the Seven Mu'allaqat by Al-Zawzani, Dar Al-Yaqza, Arabic for Authoring and Publishing, Beirut (no date), 1969.
4. Heidegger's Ways, Gadamer, translated by Hassan Nazem and Ali Hakim Saleh, The New United Book, 1st edition, 2007, Beirut.
5. On the Aesthetic Appreciation of Abu Dhu'aib al-Hudhali's 'Ayniyah', by Muhammad Ali Abu Hamda, Dar Al-Shorouk, Amman, 1st edition, 1997.
6. On Philosophy and Poetry, Heidegger, translated by Othman Amin, National Publishing House for Printing and Publishing, 1st edition, 1963, Cairo.
7. Being and Nothingness, Jean-Paul Sartre, translated by Nicola Matni, reviewed by Abdul Aziz Al-Ayadi, Arab Organization for Translation, 1st edition, 2009, Beirut.
8. Post-Textual Metaphysics and the Non-Text: Strategies of Writing and the Game of Culture, by Mahmoud Khalif Al-Hayyani, Dar Hamed, Jordan, 1st edition, 2014.
9. Sources of Pre-Islamic Poetry and Their Historical Value, by Nasser Al-Din Al-Assad, Dar Al-Ma'arif, Egypt, 6th edition, 1972: page 22.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

10. Similarity and Difference, by Abdullah Ibrahim, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, 2004.
11. From Philosophies of Interpretation to Theories of Reading, by Abdel Karim Sharfi, Publications of Al-Ikhtilaf, 1st edition, 2007, Algeria.
12. Death in Western Thought, by Jacques Choron, National Council for Culture, Arts and Literature, 1st edition, 1984, Kuwait.
13. Mythology of Nabati Poetry, by Dr. Mahmoud Khalif Khudair Al-Hayyani, Ministry of Culture, Sharjah, 1st edition, 2023.
14. The Call of Truth, Heidegger, translated by Abdel Ghaffar Makawi, Dar Al-Thaqafa, 1st edition, 1977, Cairo.
15. Hermeneutics and Philosophy, by Abdul Ghani Bara, Publications of Al-Ikhtilaf, 1st edition, 2008, Algeria.
16. The Means of Preserving Pre-Islamic Poetry in Its Recitation Phase, by Youssef Ghiwa, Al-Adab Magazine, Issue 3, University of Constantine, 1996: page 44.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.